655726 ـ هل قول (إنا لله وإنا اليه راجعون) دعاء؟

السؤال

هل قول إنا لله وإنا إليه راجعون هل تعتبر دعاء إذا كانت منفردة؟

ملخص الإجابة

قول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) من حيث دعاء العبادة (تُعد دعاءً)، ومن حيث دعاء المسألة والطلب: فهي ليست دعاء مسألة وطلب صريح، (كالاستغفار أو طلب العِوَض والنجاة).

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الدعاء ينقسم إلى قسمين:

دعاء عبادة ودعاء مسألة.

وانظر الفرق بين دعاء المسألة ودعاء العبادة: إجابة رقم (113177).

فالاسترجاع وهو قول : (إنا لله وإنا إليه راجعون) من حيث دعاء العبادة (تُعد دعاءً):

فالاسترجاع في أصله جملة خبرية تتضمن التوحيد، وتفويض الأمر، والإقرار بالعبودية والمُلك، والتسليم لقضاء الله واليقين بالبعث والجزاء ؛ ولهذا يندرج تحت دعاء العبادة والثناء والاعتراف؛ لأن الذاكر والمقر بعبوديته سائلٌ لفضل ربه وثوابه بلسان الحال.

ومن حيث دعاء المسألة والطلب (ليست دعاء مسألة بصيغتها):

فهي ليست دعاء مسألة وطلب صريح (كالاستغفار أو طلب العِوَض والنجاة)، وإنما هي ذكر واسترجاع يثيب الله عليه بالأجر العظيم والصلوات والرحمة كما قال سبحانه: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [2][6].

والأكمل في السنة النبوية:

الجمع بين الاسترجاع (دعاء العبادة) ودعاء المسألة (طلب الأجر والخلف الصالح)، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا.

قال الإمام أبو عمر ابن عبد البر، رحمه الله: «ليس في حديث أم سلمة من رواية مالك معنى يشكل، ولا موضع تنازعه العلماء في التأويل، وإنما هو دعاء واسترجاع وتعز.

ومعنى قوله: "إنا لله"؛ أي: نحن لله عبيد، وخلق خلقنا للفناء، "وإنا إليه راجعون". أي: وإليه نصير ونرجع؛ لأنه تبارك اسمه إليه يرجع الأمر كله، والخلق كله، فلا بد من الموت والرجوع إلى الله، أي: فما لنا نجزع مما لا بد لنا منه، ولا محيد عنه؟

وهذا أحسن شيء وأبلغه في حسن العزاء، وفيه إيمان وإخلاص وإقرار بالبعث، والحمد لله». انتهى، من التمهيد (2/ 557 ت بشار).

ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة.

قال ابن تيمية رحمه الله: (الدعاء نوعان: دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما؛ وهما متلازمان... فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة. وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة. وعلى هذا فقوله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ يتناول نوعي الدعاء. وبكل منهما فسرت الآية، قيل: أعطيه إذا سألني. وقيل: أثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان) انتهى من "مجموع الفتاوى" (15/10).

وقال ابن القيم رحمه الله في صيغ الحمد (ص: 61):

"الدُّعَاء: يُرَاد بِهِ دُعَاء الْمَسْأَلَة، وَدُعَاء الْعِبَادَة، والمُثْنِي على ربه بِحَمْدِهِ وآلائه: دَاع لَهُ بالاعتبارين؛ فَإِنَّهُ طَالب مِنْهُ، طَالب لَهُ؛ فَهُوَ الدَّاعِي حَقِيقَة" انتهى.

وبيّن ابن القيم في زاد المعاد (4/ 173) فقه الاسترجاع عند المصيبة قائلاً:

"وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته.

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير...

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة: بلا أهل، ولا مال، ولا عشيرة، ولكن بالحسنات، والسيئات" انتهى.

والله أعلم.